من الإعجاز العلمي في القران الكريم

في عالم الأنعام

www.eajaz.org

الشيخ/ عبدالكريم بن حسن العثمان

تمهيد :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له والصلاة والسلام على النبي الأمي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .... وبعد :

فهذا تطواف فكر متأمل في بعض جوانب هذا الوجود الواسع المليء ، نتجلى فيه عبراً ، ونأخذ منه عضات ودروساً وجه إليها كتاب ربنا جل ثناؤه أنظار من يتلو آياته الكريمة في القران ، ويطالع صفحات هذا الوجود الناطق بوحدانية موجده ومبدعه سبحانه وتبارك أسمه .

وهذا الجانب هو طائفة من أفراد المملكة الحيوانية ذات الشعب الواسعة ، والصفوف المتنوعة ، والرتب المتميزة ، بخصائصها وفصائلها وأجناسها ، وأعني بها عالم (الأنعام) ، الذي أفردت سورة في القرآن الحكيم لذكر كثير من أحكامها وأصنافها ، وهي " سورة الأنعام " ، وقد وردت إشارات موجزة ، وتفصيلات موسعة ، في سور أخرى لهذا العالم تومىء إلى بعض نعم الخالق جل ثناؤه في هذا الجانب الضخم من جوانب الوجود الحي ، وسوف أقتصر من هذه النصوص على بعضها .

١-قوله تعالى : ﴿و الأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم ﴾ سورة النحل الآيات (٥ ـــ ٧)

٢-﴿ والله جعله لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾ سورة النحل الآية (٨٠) ، وقال أيضاً : ﴿ نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ﴾ سورة المؤمنون الآية (٢١) .

٣-وقال سبحانه أيضاً : ﴿ الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجته في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾
سورة غافر ، الآيتان (٧٩ ـــــ ٨٠) .

فهذه المنافع العديدة التي أشارت إليها الآيات الكريمة من إنتاج اللحوم والألبان الغذائية ، ومن استخدامها في العمل ، وفي العالم الصناعي كتصنيع الجلود والأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك مما جعلها علم الإنتاج الحيواني هدفاً جوهرياً له ، يعمل علماؤه جاهدين لتحقيقها وهي تطويع الأنعام وخاصة الأبقار والأغنام لقوانين الوراثة التي توصلوا إليها على أسس علمية ، بحيث تلبي هذه الحيوانات رغباتهم في تحقيق إنتاجهم بمستويات عالية كماً ونوعاً .

وسوف يكون التركيز في هذا البحث على صفة إدرار اللبن في هذه الحيوانات إن شاء الله ، وذلك لأن نصوص الكتاب العزيز قد أكدت أن عبراً هامة نستخلصها من هذه الصفة ـــ أعني صفة إدرار اللبن ـــ كما تضمنت بعض تلك الآيات نقاطاً للإعجاز العلمي في كتاب ربنا الخالق يفهم من صياغه ، قوله تعالى : ﴿ وأن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ سورة النحل ، الآية (٦٦) .

وإنما كان التركيز على هذا الجانب من عطاءات آي الذكر الحكيم التي تحدثت عن الأنعام ، وهو جانب الإعجاز العلمي فيها من أجل أن هذا الإعجاز بذاته والتقصي لآفاقه ، وتحقيق مناطه ، وما منه هيئتنا المباركة بسبيل ، هو خير سفير لنا نحن المسلمين في عالم اليوم ، ذلك العالم الذي لم يعد يؤمن في الأغلب إلا بالمحسوس الظاهر ، والإعجاز العلمي يجعل الناس يلمسون لمساً حسياً تلك الحقائق ويتأملونها ، مما يفضي بهم إلى اليقين والإيمان .

ولقد صار من المسلمات المعاصرة أن الإعجاز العلمي قد قضت وقائعه وحقائقه على فكرة فصل الدين عن الحياة في أخص ما يزعمه أرباب هذه الفكرة ألا وهو العلم ، ولقد كان لهذا الإعجاز خاصة النصيب الأوفر في إيصال دعوة الإسلام إلى غير المسلمين ، وخاصة أن من يقوم بالبحث والتنقيب عن حقائق العلوم هم خواص الناس هؤلاء ، وعلماؤهم ومقدموهم ، وقد بادر كثير من هؤلاء الراسخين في العلوم إلى إعلان دهشتهم في مؤتمرات الإعجاز العلمي العالمية في القرآن والسنة ، وليس يخفى على ناظر أنه ليس هنالك من شيء عندنا نحن المسلمين يصلح أن نقدمه إلى الغرب والشرق من علوم العصر الحديث وتقنياته المتطورة ، وليس عندنا أيضاً من شيء يجذبهم إلينا سوى هذا الإعجاز الرائع الذي يعظم أثره ويشع ضياؤه يوما بعد يوم ، ويشتد عوده بحثا بعد بحث ، ولعل هذه الحقيقة التي صارت اليوم من بدهيات العمل الدعوي الإسلامي هي ما يجعلنا نتمسك أكثر فأكثر بهذه الوسيلة المهمة في الدعوة إلى الله .

خطة البحث

١- مقدمة في منهج القرآن الكريم في الاستدلال على الله سبحانه وتعالى ، وعلى جملة من حقائق العقيدة الحنيفيه وهو التفكر في آيات الله المبثوثة في خلقه .

٢- الفصل الأول : ويتعلق بتعريف هذه الطائفة من الحيوانات الفقرية ، وذلك من الناحية اللغوية والقرآنية ومن ناحية التصنيف العلمي لها في عالم الحيوان ، ثم بدراسة البنية التشريحة لبطون هذه الأنعام ، والتعرف على الأجواف التي يتكون منها بطن الحيوان الحلوب من المجترات ، وكذلك دراسة البنية التشريحية لجهاز الإدرار ـــــ أعني الضروع ـــــ وذلك كمقدمة لفهم قوله تعالى : ﴿ من بين فرث ودم ﴾ ، حيث الفرث هو محتوى كرش الحيوان المتوضع في بطنه ، والدم هو تيار الدماء المتدفق عبر ضروعها التي تستخلص منه عناصر اللبن الخالصة من كلا المحتويين محتوى الكرش ومحتوى عروق الدم ، مع أشكال إيضاحية ببياناتها الكاملة .

الفصل الثاني : ويتصل بالمعاني اللغوية والفيزيولوجية لقوله سبحانه : ﴿ من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغا للشاربين ﴾ ، ودراسة هذه الصفات الدقيقة لألبان المجترات والتي تميزت بصفتين أساسيتين نفهمها من عبارتي (خالصا ، وسائغا للشاربين) ، وذلك بالاستعراض أقوال أهل العلم من المفسرين الأوائل ، وكذا باستعراض التركيب الكيميائي للحليب ، وبيان مكوناته الأساسية وأهميته الغذائية وأجهزة تصنيعه .

الفصل الثالث : وهو مختص بالنقاط الاعجازية العلمية في هذا الجانب مما لم يكون معلوماً للناس من قبل نزول هذا القرآن المعجز ، مثل الإعجاز الظاهر في الوصف التشريحي لمعدة الحيوان المجتر وأنها تتكون من عدة بطون ، وكذلك توصيف عمليات التصفية من بين الفرث والدم مع التركيز على ظاهرة الاصطفاء الخلوي في غدة الثدي ، وأخيراً مفهوم الإساغة التي أشارت إليها الآية في نهايتها في قوله سبحانه : ﴿ لبناً خالصاً سائغا للشاربين﴾ .

www.eajaz.org

الخاتمة : وتشمل موجزاً لفصول البحث الثلاثة وفيها يسلط الضوء على مناط الإعجاز العلمي بالتطابق بين الحقائق العلمية المستيقنة ونصوص الكتاب الكريم قطعية الدلالة ، ثم التنويه بالحواشي ومراجع البحث ومصادره والله الموفق .

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات ، وجهنا إلى التفكر في جنبات الأرض وملكوت السماوات ، لندرك بعض أسرار لطفه في ما أبدع من مخلوقات ، فقال جل ثناؤه : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة إن الله على كل شيء قدير ﴾ سورة العنكبوت ، الآية (٢٠) ، بل جعل التفكر في الكون وخلق أحيائه وأشيائه سيما خاصة بعباده الموفقين من أولي الألباب الذين وصفهم فقال : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقينا عذاب النار ﴾ سورة آل عمران ، الآيتان (١٩١ ـــــ ١٩٢) ، والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على نبينا محمد الذي بدأ طريق السير إلى الله في غار حراء بالتفكر في ملكوت السموات والأرض وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين . وبعد .

فلقد تأكد أن منهج القرآن العظيم في الاستدلال على وحدانية الله وعظمتيه هي آياته الكونية لمن يتأملها ، فقد عاب كتاب الله على بعض قاصري الفكر حين طلبوا خوارق حسية من نبينا محمد ﷺ يزعمون أنهم بها وحدها يؤمنون ، وتعنتوا في هذا الطلب ، فصرفهم عن هذا الاقتراح إلى طريق آخر أدوم وأقوم ، وهو التأمل في جوانب هذا الوجود بأحيائه وأشيائه ، حيث قال جل ثناؤه : ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون * وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ سورة الأنعام ، الآيتان (٣٧ ـــــ ٣٨) .

فالطريق إلى الله سبحانه وتعالى هو آياته ليس إلا ، وربما يعجب الناظر في كتاب الله لآيات من سورة الأنعام ترد بشدة على هؤلاء القاصرين الذين تعنتوا بطلب الخوارق والآيات الحسية وجعلوها شرطاً لدخولهم في الدين ، ويبدوا أن نبي الله ﷺ قد مال إلى إجابتهم في بعض تلك الاقتراحات ، لعل فترة إعراضهم وخصوماتهم تكون أقصر فكان جواب القرآن عجيباً حيث قال له ربه جل ثناؤه : ﴿ وإن كان كبر عليك إعراضه فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ﴾ سورة الأنعام ، الآية (٣٥) ، الله أكبر أنه لأمر عظيم وهول كبير يحمله هذا النص الإلهي موجهاً إلى نبيه المعصوم ورسوله الخاتم ﷺ وهو من أولي العزم من المرسلين وقد لاقى من عنت قومه ما لاقى صابراً محتسباً ، لم يدع عليهم دعوة نوح عليه الصلاة والسلام بالدمار ، وقد لقي منهم من الأذى ما يذهب بحلم الحليم حيث تضمن هذا النص ما مفهومه : تلك سنتنا يا محمد في من كان قبلك من المرسلين ، فإن

كان كبر عليك إعراضهم واشتد تكذيبهم لك ، وكنت ترغب في إتيانهم بما يقترحونه ، إذن فإن استطعت فابتغ لك نفقاً في الأرض أو أتخذ سلماً في السماء ، فأتهم بخارقة حسية مما يقترحون بجهلهم ، أن هداية هؤلاء وكذلك جميع البشر لا تتوقف على رؤية الخوارق الحسية ، فليس الذي ينقصهم هو الآية التي تدلهم على الحق فيما تقول ، إنما الحجاب على قلوبهم بإعراضهم عن موحيات الهدى ـــــ وما أكثرها في جنبات هذا الكون العريض وساحاته الفسيحة ـــــ لو كانوا يتأملون .

وهكذا فطريق الإيمان الموصل إلى الله عموماً هو تدبر آياته في كتابه من جهة ، واستقراء آيات أكوانه المبثوثة في كل موقع ، واستنطاق الفطرة وشهادة العقل هذا كله سوف ينتهي بأربابه لا إلى الإيمان وحده فحسب ، بل إلى اليقين والطمئنينه إلى ربانية هذا الدين وأحقيته في قيادة الحياة والأحياء والسير بالإنسان إلى شاطئ النجاة والسعادة والاستقرار .

لقد كان هؤلاء الجهلة ـــــ وبتعبير القرآن الكريم أكثرهم لا يعلمون ـــــ يطلبون آيات خارقة مثل الخوارق المادية التي صاحبت الرسالات السابقة كناقة صالح عليه السلام وعصا موسى ، وتطبيب عيسى بإبرائه الأكمة والأبرص ونحو ذلك ، ولا يقنعون بأية القرآن الباقية وهديه الخالد كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم أن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ سورة العنكبوت ، الآيتان (٥٠ ـــ ٥١)

إن آي الذكر الحكيم هي الآيات الباقية التي تخاطب الإدراك البشري الراشد فتعلن عن الرشد الإنساني ، وتحترم هذا الرشد وتخاطبه الخطاب الراقي ، والتي لا تنتهي بانتهاء الجيل الذي يرى الخارقة بل تظل باقية تواجه الفكر البشري بإعجازها المتنوع إلى يوم القيامة ، كما قال الشاعر البوصيري يرحمه الله يمتدح نبينا محمداً ﷺ بميزات معجزته القرآنية :

دامت لدينا ففاقت كل معجزة من النبيين إذ جاءت ولم تدم

www.eajaz.org

الفصل الأول

ويتعلق بدراسة تعريفية لهذه الأحياء ، من الناحية اللغوية ومن الناحية الاصطلاحية الواردة في القرآن الكريم ، ثم دراسة البنية التشريحية لمعدة الحيوان المجتر وذلك في مطلبين أثنين :

المطلب الأول : تعريف الأنعام وذلك من ناحية اللغة فقد أورد صاحب القاموس المحيط معنى هذا الاصطلاح فقال : " والنعم ، وقد تسكن عينه الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل ، ج أنعام ، جج أنا عيم " .

ومن ناحية الاصطلاح القرآني فقد ورد ذكر الأنعام في سور عدة منها الورود المجمل في سورة الزمر حيث قال جل ثناؤه : ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ﴾ سورة الزمر ، الآية (٦) ، ثم ورد تفصيل هذه الأزواج الثمانية من الأنعام في سياق مطول من سورة الأنعام حيث قال جل ثناؤه :

﴿ ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا من رزق ربكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين * ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ....﴾ سورة الأنعام ، الآيتان (١٤٢ ـــــ ١٤٣) ، ثم قال بعد ذلك : ﴿ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ....﴾ سورة الأنعام ، الآية (١٤٤) ، وهكذا يتوضح أن الذي ندندن حوله في هذا البحث من الحيوانات هو الأنعام الحلوب المحددة في سورة الأنعام حصراً . وهي الضأن والمعز والإبل والبقر .

وقد ورد في القرآن العظيم ذكر طرف من منافعها والتي جعلها مادة لشكره جل ثناؤه وذلك في سياق الأمر بأداء نسك الحج في قوله تباركت أسماؤه : ﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ سورة الحج ، الآيتان (٢٧ ـــ ٢٨)

ومن الناحية التصنيفية العلمية : تنتسب هذه الأحياء ـــ أعني الأنعام ـــــ إلى شعبة الفقريات من المملكات الحيوانية ، والتي تضم صفوفاً خمسة من الأحياء الفقرية أو الحبلية ، هي صف الأسماك برتبتيه الغضروفية والعظمية ، والبرمائيات والزواحف والطيور ، وصف الثديات التي تنتمي إليها هذه الأنعام التي تتميز بأنها حلوب ، أو ما يعرف باسم الحيوانات اللبونه بمعنى أنها تنتج اللبن بأجهزة خاصة في أجسام إناثها البالغة تعرف بالأثداء أو الضروع ، وقد أناط بها الخالق الأعظم جل ثناؤه مهمة كبيرة جداً بل ومعجزة بآن واحد ألا وهي (تصنيع اللبن) ذلك الغذاء الكامل لصغار هذه المجموعة من الأحياء حيث تنمو الأجسام الضعيفة لصغارها على اللبن ويزيد أنتاج الأمهات عن حاجات الصغار ، فتقدم فضول الإنتاج إلى الإنسان ، وتستمر في هذا التقديم ما شاء ذلك لها الخالق الحكيم ، نعمة سابغة على الإنسان لينعم به لبناً خالصاً مغذياً ينتفع به صغار بني الإنسان وكبارهم على السواء فسبحان الذي أسبغ علينا نعمة ظاهرة وباطنة .

لكن الحيوانات التي يهمنا أمرها من ناحية الإعجاز العلمي هي تلك التي عنتها آيتان كريمتان من كتاب ربنا جل ذكره آية في "سورة المؤمنون" رقم (٢١) وآية "سورة النحل" رقم (٦٦) وقد وردتا سابقاً ، ومناط العبرة التي نستخلصها هنا من هذه الأحياء اللبونه أنها تتميز بصفتين اثنتين أولاهما أنها مأكولة اللحم وهي ما أشار إليها السياق في "سورة المؤمنون" في قوله : ومنها تأكلون والأخرى أن ألبانها يستسيغها الشاربون بعد خلوصها من كل شوائب الجهاز الهضمي وجهاز الدوران ودمائه ويخرج بالقيد الأول الثدييات غير مأكولة اللحم ، من مثل الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور والفهود الخ .... وكذا أمثال الكلبيات والهرريات والخنازير والبغال والحمير الخ .... فهي وإن كانت لبونه غير أنها لا تدخل ضمن مفهوم مصطلح (الأنعام) أو النعم القرآني . كما يخرج بالقيد الثاني ألبان بعض الثدييات العاشبة مأكولة اللحم مما لم يشمله نطاق مصطلح الأنعام ، وذلك مثل الأرانب والغزلان الخ .... .

وهكذا نخلص : في نهاية هذا المطلب إلى أن العبرة التي نلتمس تكشيفها هي في هذه الأزواج الثمانية المحددة ، وإذا تسألنا عن سبب هذا الحصر وجدنا جوابه في الفقرة التالية من هذا البحث وهي :

المطلب الثاني : وهي بنية تشريحة متميزة للمعدة وقنوات الهضم لهذه الأحياء ، فقد جعل الخالق الحكيم للحيوان المجتر من هذه المجموعة أكثر من معدة في تجويفه الغذائي أو بمعنى آخر جعل له أكثر من بطن ونفهم ذلك من آية سورة النحل (مما في بطونه) فهذا سبق قرآني لا شك فيه وإثباته لا يقبل الجدل ولا الريبة ، لذا فلنق الآن نظرة على بعض الكشوف العلمية المستيقنة حول هذه البطون أو الأجواف حيث صرح القرآن الكريم بوجود أجواف عدة في معدة الحيوان الحلوب من المجترات كالأبقار والأغنام ، وبالفعل وجد علماء التشريح الحيواني أن لهذه الأحياء المجترة تجاويف قد تصل إلى خمسة متباية الحجم والشكل والوظيفة ، وهي الكرش والشبكية والأنفحة والورقية بالإضافة إلى المعي فلو تأملنا إلى قناة الهضم عند الأبقار مثلاً لاحظنا وصفاً نوجزه بما كتبه الدكتور **(BRUCE.L.LARSON)** في كتابه (إدرار اللبن) ، ترجمة الدكتور سليمان سلهب ، والدكتور محمد السنوسي الأستاذين في كلية الزراعة بجامعة عمر المختار حيث ترجما وصف الدكتور المذكور لمعدة الحيوانات المجترة في صـــ ١٣٦ بقوله : " تمتلك معدة المجترات أربع حجرات . تكون الأولى الشبكية وهي تحوي ثلاث فتحات : تفتح الأولى في الكرش ، وتتصل الثانية مع المريء ، وتكون الثالثة فوهة الورقية الشبكية ، تكون الوظائف الرئيسية للشبكية هي التحكم في اتجاه سير كتلة الطعام ، وتشكيل لقمه لتعود مرة أخرى عبر المريء أثناء عملية الاجترار .

الحجرة الثانية والأكبر هي الكرش التي يحدث منها التخمر ، يكون جدار الكرش عضلياً وتفيد تقلصاته في خلط محتويات الكرش ، تغطي البطانة بحليمات وتقسم بزوائد تسمى الأعمدة ، تزيد الحليمات وبصورة كبيرة من المساحة السطحية للكرش ، وهي موضع امتصاص الأحماض الدهنية الطيارة .

الحجرة الثالثة هي الورقية ، التي تفتح أمامياً في الشبكية ، وخلفياً في الأنفحة تسمى الورقية أيضاً متعددة الطيات ، حيث يشير ذلك إلى العدد الكبير من الطيات ضمنها ، يعتقد بأن الورقية لها صلة بامتصاص الماء وبعض الأحماض الدهنية ، وذلك بواسطة الحليمات المتوافرة على الطيات ، تضخ الخلاصة الهضمية مباشرة من الورقية إلى الانفحة ، أو الحجرة الرابعة ، وهي تشبه المعدة البسيطة عند غير المجترات .

وأمامياً تتصل بالورقية ، وخلفياً بالأمعاء الدقيقة ، وهي موضع لإنتاج الحمض المعدي وبدء التحلل البروتيني ، ويشبه باقي قناة الهضم في المجترات مثيلتها عند غير المجترات ، وتتدفق الخلاصة الهضمية عبر الأمعاء الدقيقة والغليظة لإتمام عملية الهضم (انظر الشكلين التوضيحيين : شكل رقم (١) المظهر الخارجي الأيمن لمعدة البقرة والمظهر الداخلي لها في الشكل رقم (٢) أدناه .

أما ناتج الهضم الخفيف الصافي وهو المسمى علمياً باسم الكيلوس بأنه يوجه للكبد فتطرأ عليه عمليات تنقيه وتصفيه فيذهب العكر منه إلى الطحال ، ويستقر جزء في المرارة ، ويصفى الماء في الكليتين ، وتمتص المواد الغذائية النافعة والجاهزة للنقل عبر جهاز الدوران في زغابات الأمعاء الدقيقة وتقع في الدم الذي ينقله إلى أقاصي الجسم لتعويض ما نقص من طاقة وترميم ما تهدم من أنسجة ، وذلك عبر حركة يؤمنها القلب الذي يضخ هذا التيار الحافل بمواده من الدم فتبارك الله أعظم الخالقين وأحكم الحاكمين كيف أتقن بنية هذا الحيوان المجتر الذي وصفت أجواف معدته أو بطونه ، ويجزم بعض أهل الاختصاص بأنه خلال رحلة الطعام عبر هذه البطون المتعددة للحيوان تقضي الإنزيمات على أي أثر للمكروبات والطفيليات في الطعام ، ولذلك لا يحمل الحيوان المجتر الذي أحل الإسلام ذبحه وتناوله أي طفيليات يمكن أن تنتقل إلى جسم الإنسان ... بخلاف الخنزير مثلاً الذي حرم الإسلام أكله على المسلمين فإنه يحمل أدواء وديدان مهلكه للإنسان حين تنتقل إليه من تناوله للحم الخنزير فسبحان اللطيف الخبير ، هو أعلم بنا منا فتباركت أسماؤه وعم ثناؤه .

الفصل الثاني

وهو فصل مختص بإيضاح جزء آية سورة النحل الخاص بقوله سبحانه تعالى :

﴿ من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ وفيه مطلبان :

المطلب الأول : ويعرض لفهوم أهل العلم والمفسرين الأفاضل فيها :

- قال الإمام المفسر الفقيه أبو جعفر الطبري يرحمه الله في فهم معناها : (لأنه أراد مما في بطون ما ذكرنا) .... ، وقوله : ﴿ من بين فرث ودم لبناً خالصاً ﴾ يقول خلص من مخالطة الدم والفرث فلم يختلطا به ، ثم يقول : ﴿ سائغاً للشاربين ﴾ يقول : يسوغ لمن شربه فلا يغص به كما يغص الغاص ببعض ما يأكله من الأطعمة وقيل إنه لم يغص أحد باللبن قط . انظر تفسير الطبري م٤ ص١٣٣ .

- وقال الشوكاني يرحمه الله في تفسيرها : (الأنعام هي الإبل والبقر والغنم ويدخل في الغنم المعز) . ثم قال : (والظاهر أن العبرة هي قوله : ﴿ نسقيكم مما في بطونه ﴾ فذكر أنه يعود إلى الأنعام معللاً ذلك أن العرب تخبر عن الأنعام بخبر الواحد ، ولفظ الجمع يذكر ويؤنث ، وذهب بعضهم إلى أن معناه مما في بطون ما ذكرنا فهو عائد إلى المذكور عامة) ، ثم أيد هذا الفهم بذكر أمثلة في آي الذكر الحكيم كقوله جل وعز : ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ﴾ يعني هذا الشيء الطالع . وكذلك قوله : ﴿ إني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون * فلما جاء سليمان .... الآية ﴾ ولم يقل فلما جاءت وكذلك قوله : ﴿ كلا إنه تذكره * فمن شاء ذكره ﴾ . وعن مفهوم الفرث والدم ذكر الشوكاني أن الفرث : الزبل الذي يترل إلى الكرش ، فإذا خرج منه لم يسمى فرثاً ، ثم أشارا إلى بديع الصنعة الإلهية فقال : (فيكون أسفله فرثاً وأعلاه دماً وأوسطه لبناً خالصاً أي من حمرة الدم وقذارة الكرش بعد أن جمعهما وعاء واحد (سائغاً للشاربين) أي لذيذاً هنيئاً لا يغص به من شربه) انظر فتح القدير للشوكاني م٣ ص١٧٤ باختزال يسير .

- وقال العلامة الآلوسي يرحمه الله في تفسيرها لبناً خالصاً أي مصفى عما يصحبه من الأجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه أو صافيا لا يستصحبه لون الدمي أو رائحة الفرث (سائغا للشاربين) سهل المرور في حلقهم لدهنيته) انظر روح المعاني م٥ ج١٤ ص١٧٩ .

- وذكر نحواً من ذلك الإمام الرازي في تفسيره حيث قال : (أي جارياً في حلوقهم لذيذاً هنيئاً) . انظر التفسير الكبير للرازي م٧ ج٢٠ ص٢٣٢ .

– وذكر القرطبي في تفسيريه نحواً مما ذكره الشوكاني فيها حول الضمير في قوله :
(بطونه) ، وعن الفرث ، ولكنه قال : (فاعلم الله سبحانه أن هذا اللبن يخرج من بين ذلك الفرث وبين الدم في العروق ، وقال ابن عباس : أن الدابة تأكل العلف فإذا استقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً ، والكبد مسلط على هذه الأصناف فتقسم الدم وتميزه وتجريه في العروق وتجري اللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو في الكرش "حكمة بالغة فما تغني النذر " انتهى كلام القرطبي . م٥ ، ج١٠ ، ص١٢٦ .

– ولفت القاسمي في تفسيرها أنظار أهل الفكر في استدلال لطيف على البعث والنشور فقال : (إن العشب الذي يأكله الحيوان أنما يتولد من الماء والتراب ، فقلب الطين نباتاً وعشباً ثم تبديله دماً في جوف الحيوان ، ثم تحويله إلى لبن أعظم عبرة على قدرته تعالى على قلب هذه الأجسام الميتة من صفة إلى صفة) ، ثم عرض لمسألة تذكير الضمير في آية النحل (بطونه) وتأنيثه في آية المؤمنون (بطونها) ، فعلل هذا التأنيث بمواقع الإضمار هنا بأن الأنعام اسم جمع ، فيذكر ويفرد ضميره باعتبار لفظه ويؤنث ويجمع باعتبار معناه .
المطلب الثاني : وفيه تأمل مواقع العبرة التي تضمنها البيان المعجز في قوله : ﴿ وأن لكم في الأنعام لعبرة ﴾ وذلك في السورتين المذكورتين حيث تأكد وجود العبرة بحرف التوكيد (إنّ) وكذلك بلام الابتداء ـــــــ وهي اللام المزحلقة ـــــــ بين اسم إن المؤكدة وخبرها ، وهي ترد أيضاً لتفيد معنى التوكيد ، ومواقع العبرة يمكن أن تكون في هذا اللبن ذاته ، مادته وأجهزة تصنيعه ، وكذلك تركيبه الكيميائي وكيفية تنقيته بحيث يصير سائغاً لمن يشربه .
فأما مصانع هذا اللبن فهي ضروع إناث المجترات من هذه الأنعام كما هو معلوم والثدي معتبر من الناحية العلمية والتشريحية غدة كبيرة مركبة ذات إفراز خارجي وهي تتألف من ثمانية عشر قسماً تدعى (أسناخاً أو فصيصات) لإنتاج اللبن وهي تتوزع داخل الأنسجة الضامة للثدي مع طبقات دهنية لينه ، وتكثر في هذه الأرضية الأعصاب والأوعية الدموية وقنوات اللمف (انظر الشكل التوضيحي رقم (٣)

وكل فصيص مكون من الآلف من الآسناخ اللبنية التي تفرز اللبن ، وتسمى باللغة الإنجليزية
(alveoli System) ، وتحاط بخلايا الظهاره العضلية والتي تصب في القنيات ثم القنوات ثم الجيوب المنتجة للبن التي تنتهي في إحدى مسامات الحلمة لتصب داخل الحلمة في هالة الثدي
(انظر الشكل رقم (٤)

والغدد الثديية هي التي تنتج اللبن ، ولكن الكثير من مكوناته يأتي من الخلاصات الغذائية الناتجة من عمليات الهضم ، ومن تيار الدماء التي تصل إلى الضرع ويصف الدكتور "محمد رشاد بعاج " هـذا الإنتـاج فيقول : (وتقوم الغدة اللبنية عند ابتداء نشاطها الإفرازي بإفراز الحليب الذي ينشأ ويتولد في فراغات صغيرة تبطن الخلايا الغدية جدرانها وهذه الفراغات تدعى بالأسناخ اللبنية التي تتصل مع القنوات الناقلة للحليب ومن ثم تتحد هذه القنوات أو القنيات فيما بينها لتشكل قناة أكبر تنفتح على الجيب أو التجويف الناقل للحليب في القسم العلوي من قاعدة حلمات الضرع (انظر الشكل رقم (٥) أدناه ، وكتاب الدكتور محمد رشاد بعاج المسمى " أمراض الجهاز التناسلي الأنثوي والغدة اللبنية " ، من منشورات كلية الطب البيطري بحماة ص ١٢٣

وأما عن مادة اللبن وتركيبه الكيميائي : فمع أن الإنسان قد عرف اللبن منذ القديم واتخذه إذا له ، إلا أن التركيب الكيميائي الكامل للبن لم يعرف إلا منذ حوالي قرن مضى ليس إلا ، ومع تقدم طـرق التحليـل المخبرية صرنا نعرف تركيب أنواع اللبن المختلفة ، ونحدد مكوناتها الدقيقة بل ونسبها المئوية ، وتبين للباحثين أن تركيز المكونات الدقيقة لألبان الأنعام وغيرها يتأثر بعوامل الغذاء والبيئة من جهة ، وبنوع الحيوان من جهة أخرى ، ولنلق نظرة على هذه الأرقام التي تقارن بين أنواع ألبان الأنعام التي ندندن في الحديث حولها وذلـك بعد الدراسة الموجزة للتركيب الكيميائي بشكل عام : فالمعلوم أن اللبن هو إفـراز الغـدد الخاصـة لإنـاث الحيوانات الثديية وهو عبارة عن مستحلب من الدهون وشتاته غروية من البروتينات على جانب سكر اللـبن **Lactose** الذي يوجد في محلول حقيقي ، وتوجد هذه المكونات الرئيسية مع مركبات عضوية مختلفة مثـل حامض الستريك وبعض المركبات النيتروجينية ، ويعود اللون المعتم الذي يمتاز به اللـبن أساسـاً لمحتـواه في البروتينات وأملاح الكلسيوم ، ولكن العدد الضخم لكريات الدهن المعلقة في اللبن تعطيه لون البياض ، وكذا وجود بعض المواد الكبريتية والمعدنية يضفي عليه لون البياض وأهم مركبات اللبن وخواصها :ـ

١ـ الماء : ونسبته هي الرئيسية بين مكوناته إذ تبلغ من ٨٠ ـــــ ٩٠% وهو الوسط الـذي يحمـل المركبات الأخرى ، إما ذائبة أو معلقة ويمكن فصله عن المركبات الأخرى بالتجفيف .

٢ـ الدهن : ويوجد على شكل معلقات كروية صغيرة شفافة سابحة على شكل مستحلب وتختلف نسـبة حسب نوع الحيوان ، وفي الدهن أحماض طيارة مثل حمض البيوتريك .... الخ ، وينسب إلى وجودهـا طعـم ورائحة اللبن ومشتقاته . وفيه أحماض غير قابلة للانحلال في الماء مثل حامض الإسيتاريك ، وبسبب مـن قلـة كثافة الدهن بالنسبة لبقية مواد اللبن الأخرى ، فإنه يطفو على السطح مكوناً القشدة ، كما يمكن بالفرازات فصله عن بقية مكونات اللبن وإنتاج السمن ، والدهون تختزن في الأنسجة الحية ، وتمد الجسم بالحرارة .

٣- البروتينات : وتتراوح نسبتها بين ٢,٥ ـــــ ٤,٢% وأهمها الكيزين والألبيومين أو (زلال اللبن) الذي يتجمد بالحرارة ، بينما يتأثر الكيزين بالأنفحة وله أهمية في صناعة الأجبان / وللبروتينات أهمية بالغة في بناء العضلات والأنسجة الجديدة .

٤- سكر اللبن : أو اللاكتوز **Lactose** ويجود على حالة محلول شبيه بالسكر العادي ولكنه أقل حلاوة وذوباناً ، ويتحلل بسهولة بالبكتيريا إلى حمض اللاكتيك ، وبمجرد تكوين كمية كافين من هذا الحمض فإن اللبن يتجبن ، وتقل فائدته ، وللسكريات أهمية في مد الجسم بالحرارة والنشاط .

٥- الرماد أو أملاح اللبن : ونسبتها صغيرة ، ولكنها ذات أهمية بالغة في صناعة الجبن ومن هذه الأملاح جزء ذائب وجزء على حالة معلقات ومن أهم أملاح اللبن أملاح الكالسيوم والبوتاسيوم والصوديوم والمغنيزيوم والكلور ، ولهذه الأملاح أهمية في تكوين العظام والأسنان ولأداء وظائف الجسم الحيوية بانتظام .

٦- الفيتامينات : وهي متوفرة في اللبن بجميع أنواعها ، ولذا كان اللبن غذاء كاملاً من هذه الناحية . وللفيتامينات أهمية تغذوية بالغة ويؤدي نقصها إلى الإصابة بالأمراض كالكساح في الأطفال والبلاجرا والاسقربوط في الكبار ، وتتأثر مادة الفيتامينات بالحرارة ، ولذا كان استمرار الأطفال على التغذي باللبن المغلي أو المجفف الذي فقد الفيتامينات يولد فيهم الكساح إذا لم يعوض هذا النقص ببدائل كعصير الفواكه الغني بتلك الفيتامينات .

وهكذا يتبين لنا أن اللبن غذاء كامل لاحتوائه تلك المواد المذكورة كلها ، ويمكن للإنسان أن يقصر غذاءه عليه زمناً طويلاً ، ولعل هذا من أسرار الإعجاز العلمي في حديث النبي ﷺ عن اللبن ((اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب غير اللبن)) رواه أحمد وأبو داوود ، ومن أجل مزيد من التدبر في الإعجاز العلمي بخصوص ألبان الأنعام أثبت فيما يلي جدولاً يوضح المواد الأساسية في تركيب ألبان تلك الأنعام مع نسبها المئوية للمقارنة بين أنواعها الأربعة وكذا بالنسبة لحليب المرأة أيضاً ، كما يلاحظ في الجدول أدناه .

www.eajaz.org

نوع النعم	أجمالي المواد الصلبة	دهن	بروتين كازين	مصل اللبن	سكر اللبن	الرماد (الأملاح المعدنية)
الإبل	%١٣,٦	%٤,٥	%٢,٧	%٠,٩	%٥	%٠,٧
البقر	%١٢,٧	%٣,٧	%٢,٨	%٠,٦	%٤,٨	%٠,٧
الغنم	%١٩,٣	%٧,٤	%٤,٦	%٠,٩	%٤,٨	%١
الماعز	%١٣,٢	%٤,٥	%٢,٥	%٠,٤	%٤,١	%٠,٨
المرأة	%١٢,٤	%٣,٨	%٠,٤	%٠,٦	%٧	%٠,٢

وقد أخذت هذه الأرقام من مجلة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة من إصدارات الهيئة العالمية للإعجاز العلمي ، العدد الثالث عشر في رجب ١٤٢٣هـ .

ومن الأبحاث العلمية المشهورة بهذا الصدد أن الطبيب الروسي " بوجمو ليبتز " صاحب الأبحاث في إعادة الشباب قد وجد أن إحدى القبائل المسلمة في يوغوسلافيا يزيد متوسط العمر فيها على ١٠٠ عام ، وظل يبحث عن السبب في ذلك فوجد أخيراً أنهم يعتمدون في غذائهم الرئيسي على لحم الغنم ، ولا يأكلون لحم الخنزير ، وكذا يعتمدون على العسل ، ولبن الماعز ، ولا يشربون الخمور .

فيالله كم من عبرة في آيات الله القرآنية والكونية ، وكم أنعم علينا هذا الحنان المنان سبحانه من نعم لا نقدر على عدها ولا إحصائها .

الفصل الثالث

وهو مخصص لاستجلاء وجوه العبرة التي صرحت بها آية سورة (المؤمنون) و(النحل) ، بعد السرد المستقل لمفردات هذه العبرة من حيث وجود البطون المتعددة للحيوان المجتر ، وتكون الحليب عبر عمليتي تنقية من بين فرث ودم ، ثم تزويد هذا الحليب بصفات ومزايا تجعله خالصاً سائغاً للشاربين .

ومع المقارنة مع آخر المعطيات العلمية المستيقنة من حقائق العلوم التجريبية ، وسوف نقع على وقائع من الإعجاز العلمي لكتاب الله سبحانه في مقرراته التي أعلنها منذ مائة السنين قبل أن يعرف الناس شيئاً عنها ذلك بأن العناية بتكشيف هذه الجوانب ضرورية جداً لما ثبت أن علوم الإعجاز المتنوعة هي جزء من الخطاب الديني الشرعي الذي غلفه الحديث العلمي بغلاف يمكن فهمه من قبل أقوام صموا آذانهم ، وسدوا منافذ حسهم فحالوا بينها وبين التفاعل مع الخطاب الديني المباشر الذي قد رفضوه منذ زمان بعيد ، إذ أصبح الدين عندهم محصوراً في زاوية ضيقة لا يؤثر في سير الحياة ، فكيف يكون له تعلق بالعلوم الطبيعية والحيوية ، بل ويكون حضور في أدق الحقائق العلمية التي تكشفت في الآونة الأخيرة وهكذا نصل إلى نتيجة أن هذه الأبحاث التي تترا في مضمار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة من أهم وسائل الدعوة الإسلامية في عصر العلم والتقنية وفيما يلي بضع نقاط بهذا الصدد تتصل بمسالة ألبان الأنعام وصفاً وتنقية وأعضاء إنتاج وسواها ، مما يعد إيضاحه سبقاً علميا مبكراً أيدته الحقائق العلمية المستيقنة وهذا بذاته هو مفهوم الإعجاز العلمي في كتاب الله ، ولنبدأ على بركة الله :

١- نقطة الإعجاز الأولى : هي في قوله تعالى : (مما في بطونه) فقد نص صراحة على أن لهذا الحيوان المجتر بطوناً عدة ، فأفادت بذلك أمرا تشريحيا بداخل هذا الكائن الحي لم يكن معروفاً وقت نزول النص ولا بعده بزمن طويل ، ولقد مر بنا في حيثيات التفسير لمفردات هذه الآيات الكريمة أن هذه البطون هي أجواف الأربعة التي وصفها العالم الأوربي الدكتور " **B.L.LARSON**" وسماها بما ترجمت به بأسماء الشبكية ، الكرش ، الورقية والأنفحة ، وإذا كان الفهم العربي الأصلي لكلمة البطن إنما تعني جوف كل شيء كما صرح به صاحب القاموس المحيط ص ١٥٢٣ ، فإنما يعني أن القرآن العظيم صرح بأن بداخل هذا الكائن بطوناً أو أجوافاً عديدة فقل لي بربك من الذي أنبأ محمداً ﷺ وهو النبي ألامي بهذه الحقيقة التشريحية بزمن مبكر كل التبكير ولم يطلع على العلوم من قبل لأنه كما وصفه ربه حيث قال جل ثناؤه : ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون * بل هو آيات بينات في صدور اللذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ﴾ سورة العنكبوت ، الآيتان (٤٨ ـــــ ٤٩) .

وغني عن البيان أن البطون في آية (المؤمنون) قد أضيفت إلى ضمير جمع غير العاقلين ـــــ أعني قوله في بطونها ـــــ وبالتالي فإضافة اسم الجمع إلى ضمير جمع يجعل المعنى صادقاً على كل فرد من أفراده ، فلكل فرد من الأنعام إذن بطن خاص ، ولكن الإضافة في آية (النحل) هي إلى ضمير مفرد (بطونه) على النحو الذي أوضحه الشوكاني والقرطبي في تفسيريهما ، وهذا صريح في معنى الإعجاز التشريحي الذي نحن بصدده ،

فالحيوان الحلوب المجتر الواحد يحوي جوفه على عدة بطون ، وإن شئت قلت يحوي بطنه على عدة أجـــواف ، وهذه نقطة اعجازية لا تخفى على ناظر والصلاة والسلام على المبلغ عن ربه وحيه ، سيدنا محمد النبي الأمـــي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

٢ – نقطة الإعجاز الثانية : هي في البينية المفهومة من قوله جل ثناؤه : ﴿ من بين فرث ودم ﴾ فالظرف المكاني (من بين) يشير إلى المكان الذي تتم فيه عمليات التصفية والتنقية ، إما كون الدم محيطاً بالحليب داخل ضرع الحيوان فأمره ظاهر (انظر الشكل رقم (٦) ، وأما كون الفرث في جانب منه فهذا مفهوم لأن الأمعاء تقع في مؤخرة جسم الحيوان المجتر ، والدماء متوزعة في سائر البدن فهو بينهما من حيث المكان ... فكل في وعائه فلا الروث يختلط باللبن ، ولا الدم يتجاوز مواقعه في عروقه المتوزعة في جدار الضرع فلا يمتزج السائلان ، وبينهما برزخ من قدرة الخالق الحكيم لا يبغيان (تأمل بيانات الرسم الإيضاحي في الشكل رقم (٥) والشكل رقم (٦) .

وهكذا تتم التصفية والاستخلاص للبن المنقى من قذارة محتويات القرش ومن لون الدم ونتنه دون أن يقع أدنى اختلاط بين المحتويات المهضومة في معدة الحيوان ، والحليب المستخلص ، ودون أي اختلاط أيضاً مع الدم المحيط بجدار الضرع فلا تند منه قطرة أبداً مع التجاور لدرجة بين تلك الخلايا المفرزة وبين مواقع تجمـــع الحليب وقنوات سيره فيها .

والخلاصة أن الحليب قبل أن يصبح في الثدي يمر عبر عمليتي تصفية أولهما تصفية مـــن الفضـــلات وذلك بعد تمام الهضم ونزول السائل الكيلوسي إلى الأمعاء حيث يطرح في الدم الجاري ببدن الحيوان حيـــث يغذي قسم منه جسم الكائن الحي والقسم الآخر تصفية الغدد اللبنية من الدم وترسله إلى الضرع حليباً خالصاً سائغاً للشاربين .

أرأيت أيها الأخ كيف كشف العلم أن حليب الحيوان المجتر يصفى أولاً من الفضلات وثانياً من الدم وذلك بعد بحوث طويلة في العصور الأخيرة في الوقت الذي قال فيه القرآن العظيم منذ نزوله قبل أكثر مـــن أربعة عشر قرناً قراره بوجود التصفيتين التي أشار إليهما قوله جل وعز : (من بين فرث ودم لبناً خالصـــاً) ، وليس يخفى عليك أخي الكريم أنه لولا هذه التنقية الحساسة من مرحلتيها لكان فسد طعم الحليب أو تغـــيرت نكهته على الأقل مما كان يمكن أن ينتقل إليه من ريح محتويات الكرش القذرة ، أو نتن تيار الدم في جدران غدد الضرع ، فسبحان من خلصه من كل ما يشوبه ويعكر طعمه ، وأنت خبير بأن الحليب ســـريع الامتصـــاص للغازات والروائح والجراثيم التي تكون على مقربة منه بالنظر إلى احتوائه على المـــواد الدهنيـــة والســـكرية والزلالية .

www.eajaz.org

فهذه الحقيقة العلمية القرآنية لم تكن معروفة لبشر زمان نزول القرآن العظيم وما كان بشر في ذلك العهد ليتصور فضلاً عن أن يقررها بهذه الدقة العلمية الكاملة وما يملك إنسان يحترم عقله أن يماري في هذا أو يجادل ، فمن الذي أنبأ النبي الأمي محمداً ﷺ بهذا كله ، وأنى لعصر محمد وبيئته الجاهلية في الجزيرة العربية أن تحيط بهذه الآفاق أو حتى أن تتصورها ؟ وبهذا يثبت أن هذا القرآن يصدق عليه قول الله تعالى :

﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾ سورة الفرقان ، الآية رقم (٦) .

www.eajaz.org

خاتمة البحث

وهكذا نخلص ـــــ بعد هذا التطواف ـــــ لاستجلاء بعض العبر التي صرح بها كلام ربنا المعجز في قوله تباركت أسماؤه : (وأن لكم في الأنعام لعبرة .... الآية) فلقد تكشف لنا في ثنايا هذا البحث وفصوله الثلاثة الماضيات ، أعجاز مدهش سبق به كلام الله القدير كل ما جد في عالم الاكتشافات الحديثة والتقنيات المعاصرة ، وذلك من مثل إفراد عالم الأنعام بعناية خاصة حيث وصف أزواجه الثمانية ، وماز بنيانه التشريحي بميزات أفردته عن باقي أفراد صف الثدييات التي ينتمي إليها بشعبة الكائنات الحبلية أو الفقارية بشكل أخص ، حيث صرحت آية (النحل) بأن للفرد من هذه الأنعام ـــــ وهو الأنثى طبعاً ـــــ بطوناً عدة داخل تجويفه البطني العام وقد رأينا أوصافها من خلال الإيضاحات النظرية والأشكال التقريبية ببياناتها وتفصيلاتها التي استوعبها هذا البحث على وجازته.

كما توضحت لنا ملامح (البينية) التي تضمنها قول الحكيم العليم جل ثناؤه :

(من بين فرث ودم) ،أنها تعني عمليتي التصفية ومرحلتي التنقية ، تجري إحداهما في مستوى القناة الهضمية للحيوان المجتر حيث تتبسط الجزيئات الغذائية المعقدة في العلف محتوى الكرش إلى خلاصات بسيطة جاهزة لاجتياز جدار الوعاء الدموي والوصول عبر تيار النقل الدموي إلى مستوى الغدد اللبنية في الضرع ، لتبدأ لتوها في مرحلتها المعجزة الأخيرة حيث تصطفي عناصر الحليب المختارة بعناية من بين مواد الدم الكثيرة والمتناقضة في تركيباتها وطعومها وريحها ، لينتج عن ذلك اللبن الخالص من قذارة الفرث ونتن الدم ، ثم جرت مناقشة أهل الشأن في مفهوم قوله تبارك وتعالى : (سائغاً للشاربين) من علمائنا الأفاضل المفسرين ومن أهل الاختصاص من الباحثين المعاصرين ، وقد حرصت ـــــ ما وسعني الجهد ـــــ على توضيح مفهوم الإساغة بدأً من فهومهم أيام عصورهم السابقة ، وانتهاءاً بما فتح الله على بعض عباده في العصر الراهن حيث تبين لنا أن شراب الحليب يجمع في تركيبه الكيميائي المتناقضين عادة عند الشرب وهما الطعم الحلو ممثلاً بالسكر اللاكتوز ، والطعم المالح ممثلاً بالأملاح المعدنية الوافرة في تركيب الحليب ومع هذا التناقض فقد ساغ هذا الحليب لشاربيه ، وقد مررنا خلال ذلك على ما تعرض له بعض أحبائنا في هيئتنا الموقرة التي تضطلع ـــــ أعانها الله ـــــ برعاية هذه الأبحاث من أجل أبراز ملامح الإعجاز العلمي لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ورأينا تضافر الجهود في تفسير الإساغة بين أنظار الباحثين بالقديم والحديث .

فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك وصلى الله وسلم على معلم الناس الخير نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

www.eajaz.org